اسم المادة الدراسية عربي : أدب عصور متأخرة .

اسم المادة الدراسية الانكليزي :Literature of Later Ages

اسم المحاضرة : الفنون الشعرية المستحدثة (الدوبيت والموشح) .

اسم التدريسي : أ. د. محمد عويد محمد الساير .

المستوى الدراسي : الثالث .

الدراستان : الصباحي / المسائي .

الاسبوع : الخامس .

الدوبيت :

من الفنون المستحدثة التي أولاها الشعراء اهتمامهم ، وأصل لفظ «الدو بيت : فارسي معناه «البيتان» ، وهو قالب شعري ظهر في المشرق مثل ظهور الموشح في الأندلس والمغرب ، وذكر صفي الدين الحلي أنه لا يجوز في الدوبيت اللحن ، فقال : «و عند جميع المحققين أن هذه الفنون السبعة منها ثلاثة معربة أبدا ، لا يغتفر اللحن فيها ، وهي : الشعر ، والموشح ، والدوبيت وقد سماه العرب باسم «الرباعي» ؛ لأنه مؤلف من أربعة مصاريع وسموا الواحدة منه رباعية ، يراعي في الأول والثاني والرابع منها على الأقل قافية واحدة . وكان أول البلاد العربية وأكثرها تأثراً به العراق ثم الشام ثم مصر والسودان .. ووزن الدوبيت هو:

فَعْلُنْ مُفَاعلنْ فعولنْ فَعِلنْ = فَعْلُنْ متُفَاعلنْ فعولنْ فَعِلنْ

وقد لا يأتي كل ما قيل من الدوبيت على هذا الوزن ، بل كثيراً ما يشذ بعض ناظميه، ويخرجون عنه بضروب من التصرف ، وكثيراً من الزحافات ويتميز الدوبيت عن غيره ، فهو يتحلى بقواعد الإعراب و موازين الصرف المعروفة.

والدوبيت - كما قال الدكتور مصطفى جواد- من أوزان الشعر و فنونه الجميلة ، وإن مخترعه أبو عبدالله جعفر بن محمد بن حكيم بن عبدالرحمن بن آدم الشاعر الفارسي السمرقندي الروذكي ، منسوب إلى روذك من نواحي سمرقند المتوفى سنة ٣٢٩ للهجرة. وتبعه شعراء كثيرون ، وانتشرت شهرة بعضهم ، أمثال عمر الخيام (ت قبل ٥٣٠هـ) ، وأوحد الدين المعروف بالأنوري (ت ٥٨٧هـ) ، وعبدالرحمن الجامي (ت ٨٩٨ هـ) . و من المتقدمين في نظم الدوبيت ، أي الرباعي ، أبو حفص عمر بن عثمان بن الحسين بن شعيب الجنزي (ت ٥٥٠ هـ) و هو أحد أئمة النحو والأدب، وأبو القاسم هبة الله بن الفضل بن القطان (ت٥٠٨هـ) الشاعر البغدادي المشهور . وقد ذكر مصطفى صادق الرافعي: أن هذا النوع - أي الدوبيت- لم يكن في العربية قبل القرن السابع ، وحجته في ذلك قوله : (لأننا لم نجده في شعر أحد قبل ذلك الزمن ، ولا وجدنا إشارة إليه ولم نجد للشعراء ولعة به إلا في أواخر تلك المئة وما بعدها). وهذا القول بجانب الصواب ، إذ أحصى الدكتور كامل مصطفى الشيبي نيفاً وعشرين شاعراً من القرنين الخامس والسادس للهجرة نظموا في الدوبيت.

أما الدكتور إبراهيم أنيس فيقول : (و الحق إن هذا الوزن لم يشع شيوعا كافيا في اللغة العربية حتى يصبح مألوفا بين الناس، بل لم يرو أن شاعرا مشهورا قد اختصه بنصيب من شعره ، ولهذا لم ترو له إلا مقطوعات قصيرة ، وأغلب الظن أن الناظمين قد حاولوها للتفكه واظهار البراعة والمهارة في النظم من أي وزن، حتى ولو كان أجنبيا عن أوزان الشعر العربي)، وهذا القول غير دقيق ولا يستند إلى دليل مقنع ، و من يرجع إلى ديوان و الدوبيت ، الذي جمعة الدكتور كامل مصطفى

الشيبي يجد عددا كبيرا من الدوبيتات لشعراء معروفين أمثال شهاب الدين السهروردي ، وعماد الدين الأصبهاني ، و ابن النبيه المصري ، وفتيان الشاغوري، وحسام الدين الهاجري ، وابن مطروح ، والبهاء زهير ، وشهاب الدين التلعفري ، والشاب الظريف ، وابن دقيق العيد ، وعمر بن الوردي ، وصفي الدين الحلي ، وابن حجة الحموي ، وبهاءالدين العاملي ...

وكان الدوبيت وعاء لعدد من أغراض الشعر ، فإن العماد الأصبهاني (ت٥٩٧ه) نظم ديوان شعر صغيرة النور الدين محمود بن عماد الدين زنكي جميعه دوبيتات في معنى الجهاد ، وصلت إلينا منه نماذج قليلة ، مثل قوله :

أقسمتُ سوى الجهاد مالي أربُ — والراحة في سواه عندي تعبُ
إلا بالجدِّ لا ينالُ الطلبُ — والعيشُ بلا جدٍّ جهاد لعبُ

وله أيضا مجموعة دوبيات على حروف الهجاء أغلبها في الغزل وصلت إلينا كاملة ونظم فتيان الشاغوري ديوان خاصة في الدوبيت رآه ابن خلكان ونقل منه قوله:

الوردُ بوجنتيكَ زاهٍ زاهرْ — والسحرُ بمقلتيكَ وافٍ وافرْ
والعاشقُ في هواكَ ساهٍ ساهرْ — يرجو ويخافُ ، فهو شاكٍ شاكرْ

ووصل إلينا القاضي نظام الدين محمد بن اسحاق الأصبهاني (ت ٦٨٠هـ) ديوان بعنوان ((نخبة الشارب وعجالة الراكب)) فيه خمس مئة وثلاثة وأربعون دوبيتا موزعا على حروف الهجاء جميعها ، في عالم متناسق جميل ، عالم يتوحد فيه العشق بالخصب والنزوع الصوفي ، في غنائية هادئة شفافة تبهج النفس ، مثل قوله:

عرَّجتُ صبابة على مغناكِ — أستنشقُ من نسيمه رياكِ
دار ضحكت ثغور عيني فيها — لامرَّ سوى المزن بها من باكِ

وقوله:

دعني وتنسمي صبا الأشواق — ما العيش سوي رياضة الأخلاقِ
لا أرغب عن مصارع العشاقَ — إنْ متُّ على ذاك فإني باقِ

وكان للحب ، ودواعي الوله والغرام ، ولواعج الصبابة والهيام ، نصيب كبير من هذا اللون من النظم ، مثل قول الشاب الظريف (ت٦٨٨هـ) بلغة الوجد الصوفي :

ما ناح حمام الأيك في الأغصانِ — إلا وتزايدتْ بكم أشجاني
عودوا لمعنىً هجركم أسقمهُ — فالصب بكم مضنى كئيب عاني

وقوله:

قاسيت بك الغرام والهجر سنينْ — ما بين بكاء وانين و حنينْ
أرضيك وما تزداد إلا غضبا — الله - كما أبلى بك القلب - يعينْ

الموشح :

في اللغة : وشحه أي البسه الوشاح ، وتوشح واتشح : لبس الوشاح . والوشاح : شبه قلادة من نسيج عريض يرصع بالجوهر نشده المرأة بين عاتقها وشحها. والموشح : ضرب من الشعر ينظم على أدوار وقواف معلومة ، وقد سمي بذلك لأنه يشبه الوشاح بنسيجه الجميل وشكله البديع . وقد ظهر الموشح في الأندلس في أواخر القرن الثالث للهجرة ، وانتشر بعد ذلك انتشارا واسعة ، عبر به الأندلسيون عن دخائل نفوسهم وسرائرها وتغنوا به في مجالسهم ، ويعلل الأستاذ أحمد ضيف سبب اختراع الموشحات في الأندلس إلى ما تولد في النفوس من رقة وميل إلى الخلاعة والدعابة في الكلام ، وشعور الناس من أدباء وشعراء بضرورة الخروج من الأوزان القديمة المعروفة ، أضيق تلك الأوزان عن احتمال عبث الشعراء على حسب اهوائهم . وقد سئم الناس طريقة الشعر القديمة المعروفة ، وحاولوا ابتكار شيء جديد ، فاخترعوا تلك الأوزان لتساعدهم على ما يريدون من الكلام في بحبوحة اللهو والطرب والرقص وانشاد الشعر بطريقة خفيفة على النفس. وقد وجدوا ذللك أدعى إلى تحريك النفوس ، فابتدأوا اولا بالأوزان العربية الخفيفة المعروفة ، كالرمل والهزج والمقطوعات وغير ذلك ، وغيروا فيها القافية ، وولدوا من ذلك الموشحات ، وأباحوا لأنفسهم التغيير في الوزن والقافية ، فاخترعوا من الأوزان ما لا قاعدة له ، ثم توسعوا في هذه الأوزان وتفننوا فيها ، وأودعوا هذا النوع الجديد من الشعر ميولهم واهواءهم . واشتغل بذلك الظرفاء والأدباء ، فشمل هذا الشعر كل انواع اللهو والتسلي ، ثم تمشي في نفوس جميع الناس حتى اصبح نوعا من انواع الشعر العام فنظم على أسلوبه الحكماء والفقهاء في الوعظ والحكم، ومنهم التقي المشهور والصوفي المعروف محيي الدين بن عربي .

والموشح من ابتداع محمد بن محمود القبري الضرير كما يرى ابن بسام، او مقدم بن معافر القرير في رواية ابن خلدون، وهو يختلف عن القصيد ، فمن حيث الوزن تتفق الموشحات المنظومة بالفصحى في معظمها مع أوزان الخليل بن أحمد الفراهيدي المعروفة ، ولكنها قد تخرج في نماذج أخرى عن هذه الأوزان ، ولا سيما إذا كانت منظومة بالعامية او ما يقرب منها ، في إيثار التسكين في عباراتها ، وكذلك تخالف الموشحات قصائد الشعر بخروجها على مبدأ القافية الواحدة ، واعتمادها جملة من القوافي المتناوبة والمتناظرة وفق نسق معين واحتواء بعض اجزائها ولا سيما الخاتمة على العبارة العامية.

لقد كانت الموشحات في الأندلس ثمرة حياة الغني والرخاء ، تلك الحياة التي جنح الناس فيها إلى اللهو واللذة والترف والموسيقى والغناء والطرب إلى جانب روح التجديد التي سادت في المجتمع الذي تظلله حرية القول والعمل والحركة والإبداع..

ولم يعرف المشرق - وإن كان مهده القصيدة - الموشح إلا في عهد متأخر ، وقد ذكر الدكتور محمد زعلول سلام أن الموشح نقل إلى المشرق في أخريات القرن

السادس للهجرة، وذهب الدكتور جودت الركابي إلى أن ابن سناء الملك أول من أدخل هذا الفن إلى المشرق. والذي نراه أن الموشحات انتقلت إلى المشرق بوساطة رحلات العلماء والأدباء والفقهاء في نهاية القرن الخامس للهجرة ، وبدأ الشعراء بالنظم على غرارها في مطلع القرن السادس للهجرة ، وكانت مصر السباقة إلى ذلك ، ولاسيما الاسكندرية، ومن ابرز الشعراء الذين وصلت الينا نماذج من موشحاتهم : علي ابن عياد الإسكندري(ت ٥٢٦هـ) ، وظافر الحداد الإسكندري (ت٥٢٩هـ) ، وابن قلاقس الإسكندري (ت٥٦٧هـ) ، وموسى بن علي الإسكندري (ت٥٧٢هـ) .

وقد حاول المشارقة - بعد استيعاب الموشحات الأندلسية ودراستها وحفظها - أن يظهروا مقدرتهم وكفاءتهم في هذا الفن الجديد ، فنظموا فيه ، وأجادوا أيما إجادة ، وغيروا بعض صوره ، وجددوا في الوانه . وكان ابن سناء الملك (ت ٦٠٨هـ) احد المعنين المشهورين به ، وله كتاب «دار الطراز في عمل الموشحات» ، وقد أورد فيه موشحات اندلسية لشعراء مشهورين بنظمها ووضع إلى جوارها موشحات من نظمه ، وكأنه أراد أن يثبت مقدرته فيه وتفوقه على اقرانه المغاربة ، ومن محاولاته في هذا التفوق زيادة عدد اجزاء المرشح الواحد ، ولا سيما في الأقفال ، إذ اوصل اجزاءها إلى أحد عشر جزءا وكان العدد المعروف في الموشح الأندلسي لا يكاد يتجاوز ثمانية اجزاء في القفل الواحد.

ومضى الموشح المشرقي نحو الازدهار والتطور ، وكثر عدد الوشاحين ، نذكر منهم على سبيل المثال : ابن الدهان الموصلي (ت ٥٨١ه) ، وأبا عثمان البلطي الموصلي (ت٥٩٩هـ) والقاسم بن القاسم الواسطي (ت٦٣٦هـ)، وداود بن عيسى الأيوبي (ت ٦٥٦هـ) ، وابن زيلاق الموصلي (ت ٦٦٠هـ) ، وأيدمر المحيوي (ت ٦٧٤هـ)، وشهاب الدين التلعفري (ت٦٧٥ه) ، وتقي الدين عبد الله بن علي السروجي (ت ٦٩٣ه) ، وأحمد بن عبدالملك العزازي (ت ٧١٠ه) ، وابن دانيال الكحال الموصلي (ت ٧١٠ه)، والسراج المحار (ت ٧١١ه) ، وصدر الدين بن الوكيل (ت ٧١٩هـ) ، وابن الملحمي الواعظ الواسطي (ت ٧٤٤هـ) ، وصفي الدين الحلي (ت ٧٥٠هـ)، و ابن نباتة المصري (ت ٧٦٨هـ) ... وكان الوشاحون على علم بالموسيقى والغناء ، فقد جاء في فوات الوفيات : «أن شمس الدين محمد بن علي بن عمر المازني الدهان (ت ٧٢١) كان يعمل صناعة الدهن ، وينظم الشعر الرقيق، ويدري الموسيقي ، ويعمل الشعر ويلحنه و يغني به المغنون ، وكان يلعب بالقانون» ، وأورد له الموشح الآتي :

يـــا بـــأبي غصـــن بانـــة حمـــلا   بـــدر دجـــىً بالجمـــال قـــد كمـــلا، اهيـــفْ

فريـــــد حســـــن مـــــا مـــــاس أو ســـــفرا

إلا اغـــــار القضـــــيب والقمـــــرا

يبـــــدي لنـــــا بابتســـــامه دررا

فـــي شـــهد لـــذ طعمـــه وحـــلا   كـــأن انفاســـه نســـيمُ طـــلا ، قرقـــفْ

مـــــــورد الخـــــد فـــــاتر المقـــــلِ
يفـــــوق ظبـــــي الكنـــــاس بالكحـــــلِ
وينثنـــــي كالقضـــــيب فـــــي الميـــــلِ
من حمل ردفٍ مثل الكثيب علا   نيط بخصرٍ كأضلعي نحلا ، مخطفْ

وقد علل الدكتور عبدالعزيز الأهواني ذلك بقوله : ((إن التوشيح قوي اتصاله بفن آخر ، هو الموسيقى والتوقيع ، فخضع لتطور جديد في الوزن والقافية ، ولهذه الصلة نفسها صغر حجم الموشحة ، فلم تطل كالقصيدة ... ليمكن أن تغني في مجلس و احد)).

وتنقسم الموشحات بشكل عام من ناحية الأوزان إلى قسمين ، منها ما جاء على اوزان اشعار العرب ، ومنها ما لا وزن له ، وهو كما يقول ابن سناء الملك : الكثير والجم الغفير ، والعدد الذي لا ينحصر ، والشارد الذي لا ينضبط ، وكنت أردت أن أقيم لها عروضا يكون دفترا لحسابها ، وميزانه الأوتاد واسبابها ، فعز ذلك واعوز، لخروجها عن الحصر وانفلاتها من الكف. وقد حاول المستشرق الألماني «هارتمان» في دراسة له إرجاع اوزان الموشحات إلى مئة وستة واربعين وزنا او بحرة مشتقة من بحور الشعر العربي الستة عشر ، غير أن هذه المحاولة تتسم بالتكلف في بعض جوانبها ، إذ هناك موشحات تشذ عن الأوزان التي ذكرها هارتمان ولا تخضع لها.

لقد كانت الموشحات الأندلسية تتراود بين الفصحى والعامية ، وقد تساهل عدد من الشعراء في هذه اللغة طالما كانوا يبغون ارضاء الأذواق العامة ، كما كانت ترضي الأغاني الشعبية هذه الأذواق . أما الموشحات المشرقية فكانت في الغالب، تدور - وإن لم تخل من : اللحن - في تلك الأوزان العربية المعروفة ، ويحسن بنا أن نورد هنا موشحة لنقف على تعاريف أجزائها ، قال

خليل بن أيبك الصفدي:

يـــــا صـــــبا مســـــكية الـــــنفسِ   أنـــــت قـــــد جـــــددت لـــــي الولعـــــا

كانـــــت الأحشـــــاءُ قـــــد خمـــــدتْ
وســـــيولُ الـــــدمع قـــــد جمـــــدتْ
وأيـــــادي الصـــــبر قـــــد حمـــــدتْ

ثـــــم لمـــــا ســـــرت فـــــي الغلـــــسِ
بـــــان صـــــبري والســـــلو معـــــا

المطلع : إذا افتتح الموشح به سمي تامة ، وإن لم يستهل به سمي أقرع ، أي ليس في رأسه شيء ، وموشحة الصفدي السابقة تامة .

القفل : وهو يشبه المطلع في الوزن والقافية ، والأقفال ليس لها عدد محدد ولكن الحد الأدنى لها خمسة اقفال ، والقفل الواحد يتركب من جزأين فأكثر إلى ثمانية أو عشرة ، وقد اوصله ابن سناء الملك إلى احد عشر.

الغصن : وهو القسم الواحد من المطلع والقفل والخرجة ، وقد يكون جزأين ، او ثلاثة او اربعة .

الدور : ويأتي بعده المطلع إذا كان الموشح تامة ، او مباشرة إذا كان الموشح اقرع ، والحد الأدنى له ثلاثة أقسام ، وقد يكون اربعة او خمسة ولا يتجاوز ذلك إلا نادرة.

السمط : وهو القسم الواحد من الدور ، ويكون مفردة كما في موشحة الصفدي ، او يكون من فقرتين او ثلاث او اربع .

البيت : وهو الدور مع القفل الذي يليه .

الخرجة : هي آخر قفل في الموشح ، ومع أن المطلع ليس ركنا اساسا في الموشح، إلا أن الأقفال والخرجة في غاية الأهمية وبدونها لا يستوفي الموشح شروطه. والخرجة هي الجزء الوحيد من أجزاء المرشح الذي باح فيه اللحن، بل ويستحسن، ومعنى الخرجة عند الوشاح - كما يرى الدكتور عبدالعزيز الأهواني - الخروج من الكلام المغرب إلى الكلام الملحون ، زيادة على الخروج من المديح إلى الغزل الذي اعتادوا أن يختموا به الموشح ، وهذا لا يوجد بوضوح في الزجل ، هذا إن لم يكن اصطلاحا موسيقية.

ومن ابرز ما يلاحظ في الموشح المشرقي التطور في الأغراض التي عالجها ، فإلى جانب **الغزل، والمجون** ، **والخمر، والمديح** ، **والهجاء** ، **والرثاء** ، نجد موشحات في **الزهد والتصرف** ، **و المراسلة بين الأدباء او ما يعرف بالإخوانيات.**

أما من الناحية الفنية فإن الوشاحين المشارقة اغرقوا في ضروب البيان والبديع ، لا سيما التورية ، ويذكر المؤرخون اعلامه في فن التوشيح عرفوا باستعمالهم التورية، منهم ابن نباتة المصري الذي ابدى براعة في استعمالها ، وتفنن في تحقيق الانسجام بين اللحن والغناء من جهة ، وبين الفاظ الموشحة من جهة أخرى.